الالتفاف حول قيادتنا الرشيدة لمواجهة العدوان

في لحظة يعلو فيها صوت الانفجارات في الأفق، وتهتزّ النوافذ كأنها تشاركنا القلق والهلع، وجدتُ نفسي أتساءل: ما دورنا نحن في مثل هذه الأيام الثقيلة؟ حين يرتجف البيت لا من ضعف بنيانه، بل من وقع أحداث تدور من حولنا، وحين ننظر في عيون أطفالنا الخائفة فنرى أسئلة أكبر من أعمارهم، ندرك أن المسؤولية لم تعد فكرة نظرية، بل واقعًا نعيشه لحظة بلحظة.

قد لا نحمل السلاح، لكننا نحمل كلمة وموقفًا وسلوكًا يوميًا يعكس معدن المجتمع الذي ننتمي إليه.

في زمن العمل عن بُعد، حيث نجتمع خلف الشاشات بينما تتسارع الأخبار خارجها، يصبح الانضباط والهدوء رسالة طمأنة قبل أن يكونا مجرد التزام مهني.

أطفالنا الذين يفزعون من الأصوات المرتفعة يحتاجون أن يروا فينا ثباتًا يسبق الكلام، ووعيًا يبدد الخوف، وثقةً بأن وطنهم محاط بعناية إلهية وقيادة ثابتة.

وهنا نستحضر ما تعلمناه في مقاعد الدراسة من خلال مادة «المواطنة» التي كانت تُدرَّس وما زالت تُدرس في مدارسنا وجامعاتنا؛ تلك المادة التي لم تكن مجرد محتوى نظري، بل غرسًا لقيم الانتماء، واحترام الدولة، وتعزيز الوحدة الوطنية، وترسيخ مفهوم المسؤولية المشتركة.

بقلم:
د. فاطمة المالكي

اليوم تتجلى ثمار تلك الدروس، حين نُدرك أن المواطنة الحقة تعني أن نكون عامل استقرار، لا عنصر قلق وهلع، وأن نحمي نسيجنا الاجتماعي كما نحمي أطفالنا وبيوتنا.

لقد أرست القيادة الرشيدة في البحرين، بقيادة حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة حفظه الله ورعاه، نهجًا يقوم على التعايش ووحدة الصف وترسيخ مفهوم الوطن الجامع. وفي مثل هذه الظروف، يكون الالتفاف حول القيادة تعبيرًا عن وعي جماعي بأن ولاة الأمر أدرى بما يحيط بالبلاد من تحديات، وأن الحكمة في إدارة الأزمات تتطلب تماسك الداخل قبل أي شيء آخر.

إن أخطر ما قد يتسلل إلينا ليس دويّ الانفجارات، بل الشائعات والانقسامات إن نحن سمحنا لها بالعبور بيننا. لذلك، فإن صون وحدتنا، وتجاوز أي اختلاف مذهبي أو فكري، والوقوف صفًا واحدًا مع قيادتنا، هو الحصن الحقيقي الذي نحتمي به. لقد تعلمنا أن البحرين وطن للجميع، وأن التعايش ليس شعارًا يُرفع في أوقات الرخاء فقط، بل قيمة تُختبر في أوقات الشدة.

ولننظر بوعي أعمق إلى ما نعيشه من أمن وأمان. لقد سخّرت بلادنا إمكاناتها لحماية الإنسان قبل كل شيء، وجعلت سلامته أولوية قصوى. نتذكر جميعًا كيف تعاملت الدولة مع جائحة كورونا؛ كيف وُضعت صحة المواطن والمقيم في المقدمة، وكيف وفرت الرعاية الطبية واللقاحات والخدمات دون تمييز، في مشهد جسّد معنى الدولة الراعية التي تقدّم الإنسان على كل اعتبار. ووقف جلالة الملك في تلك الأيام الصعبة موجّهًا وداعمًا، مؤكدًا أن سلامة الجميع أمانة لا تقبل التهاون.

أليس من الواجب اليوم أن نستشعر قيمة هذا الأمان الذي نعيشه؟ أن ندرك أن هناك وطنًا يحمينا ويحمي أبناءنا، ويسهر على استقرارنا، ويوفّر لنا الطمأنينة وسط عالم مضطرب؟ إن الأمن نعمة لا تُقاس إلا حين يفتقدها غيرنا، والاستقرار مسؤولية مشتركة تتطلب منا أن نصونه كما صانته قيادتنا.

إنها لحظة وعي قبل أن تكون لحظة خوف، ولحظة التزام قبل أن تكون لحظة قلق؛ لحظة نُجدّد فيها ولاءنا لوطننا، ونتمسك ببعضنا أكثر، مؤمنين بأن البحرين ستبقى قوية بتلاحم شعبها، وأن الثبات والاتحاد هما الرسالة الأبلغ في وجه كل اضطراب.

وفي الختام لا بد من التأكيد أن الالتفاف حول قيادتنا الرشيدة يبقى هو الركيزة الأهم؛ فالنصر لا يأتي إلا بتضافر المواطنين، ولا يتحقق الثبات إلا حين تتوحد القلوب خلف رؤية واحدة.

إن قوة البحرين تظهر في مثل هذه الظروف الاستثنائية من خلال تلاحم شعبها وثقته بقيادته، وإيمانه بأن الحكمة والوحدة هما الطريق الآمن لعبور التحديات، فحين نصطف صفًا واحدًا خلف قيادتنا، فإننا لا نُعبر فقط عن ولاء، بل نُجسّد وعيًا وطنيًا راسخًا بأن المستقبل يُصان بوحدة الصف وتكاتف الجميع.

الأمان.. حين ندرك قيمته

الأمان لا يُحسُّ به حين يكون موجودا. مثل الهواء تماما – لا نفكر فيه إلا حين يشحّ. وما يصدق على الهواء يصدق على كل نعمة كبيرة منحها الله لنا ونسينا أن نحمده عليها.

بقلم:
نبيلة رجب

نستيقظ صباحًا، نغادر بيوتنا مطمئنين، يسير الأبناء إلى مدارسهم وأعمالهم، وتتحرك الحياة من حولنا بإيقاعها المعتاد. يتكرر هذا المشهد كل يوم حتى يبدو طبيعيًا تمامًا. لكن ما إن تهتز الأوضاع من حولنا حتى يتغير الإحساس فجأة، ويدرك الإنسان أن ما عاشه طويلًا لم يكن أمرًا عاديًا، إنما نعمة كبيرة تستحق أن نعرف قدرها.

يكفي أن يتأمل الفرد قليلًا ليرى كيف يتشكل هذا الشعور في حياته. فالأمان لا يظهر في لحظة واحدة، فهو يتكوّن عبر تفاصيل صغيرة تتكرر كل يوم: قدرة الإنسان على التخطيط ليومه، والعمل بهدوء، والتفكير في مستقبله دون قلق دائم. هذا الاستقرار يمنح الحياة إيقاعها الطبيعي، ويجعل الإنسان قادرًا على أن يعيش يومه بثقة واطمئنان.

ثمة فكرة في علم النفس تقول إن الإنسان لا يستطيع الانشغال بطموحاته وإنجازاته قبل أن يشعر بالأمان – فهو يحتاج أولًا إلى الإحساس بأن حياته مستقرة وأن محيطه آمن. مع هذا الشعور يصبح قادراً على العمل والإبداع وبناء مستقبله، بينما يتغير كل شيء حين يختل هذا الإحساس. وأنا أعيش هذه الأيام الثقيلة، عدت إلى هذه الفكرة التي درستها يوماً وأدركت أنها لا تُفهم في الكتب بقدر ما تُفهم في الحياة. والبحريني الذي يغادر بيته كل صباح مطمئناً يعيش معناها ببساطة.

وهذه الأرضية لا تُبنى من فراغ. خلفها مؤسسات تعمل بصمت، ورجال يسهرون حين ينام الناس، وقرارات تُتخذ بعيدًا عن الأضواء لتبقى الحياة اليومية على إيقاعها المعتاد. الاستقرار الذي نعيش فيه ليس صدفة، هو نتيجة.

وأنا أتابع ما تبثّه قنواتنا هذه الفترة، وقفت عند مشاهد الاستعداد في المستشفيات، وحضور الأجهزة الأمنية وفرق الدفاع المدني، والرسائل التي أطلقتها الكوادر المختصة بروح من الإيجابية. حتى عودة الأسواق سريعًا إلى طبيعتها بعد القلق الأول الذي دفع بعض الناس إلى شراء السلع وتخزينها، دليلاً على تماسك إدارة الأمور. هؤلاء جميعاً يستحقون أن يُشكروا.

ومع كل هذه الاستعدادات، لم يخلُ القلب من قلق. مثل كثيرين، وجدت نفسي أفكر أكثر في الوطن وأهله، وفهمت أن الإنسان لا يخاف إلا على ما يحب.

ومع التفكير في هذا المعنى يتضح أن للاستقرار وجهًا آخر لا يقل أهمية؛ وجه تصنعه البيوت عبر السنين في مواقف صنعتها البصيرة والصبر. رجال آثروا الحكمة حين كان الانفعال أسهل، ونساء صنعن من بيوتهن حصنًا للعائلة حين تقلّبت الأحوال.

في مثل هذه المواقف يتكوّن المعنى الحقيقي للوطن؛ وطن يجتمع أهله على الحرص عليه وعلى أن تبقى الطمأنينة فيه واقعًا يعيشونه. هذا الإرث الهادئ هو ما يجعل الاستقرار جزءًا من حياة الناس، وهو إرث يستحق أن نعيه ونحمد الله عليه.

كثيرون ممن اختاروا بلدنا وطنًا ثانيًا يذكرون أن الأمان الذي وجدوه فيها كان السبب الأول لارتباطهم بها. ومن ينظر إلى هذه النعمة من الخارج يعرف قيمتها جيدًا.

ولهذا فإن الحفاظ على أمان بلدنا مسؤولية كل من يعيش على هذه الأرض. فالبحرين التي عرفها أهلها دائمًا تشبه نخلة ثابتة؛ قد تمر حولها الرياح، لكنها تبقى راسخة في أرضها، تمنح من حولها الظل والراحة.

rajabnabeela@gmail.com

عن النتائج الكارثية لاعتداءات إيران على دول الخليج

مع اندلاع الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران، يشهد الشرق الأوسط تصعيدًا غير مسبوق من جانب إيران. فبعد أن كانت طهران لا تقتصر على توجيه ضربات عسكرية ضد تل أبيب وواشنطن، باتت تستهدف بشكل مباشر البنية التحتية الحيوية في دول الخليج العربي.

وأعلنت وزارة الدفاع الإماراتية، يوم الثلاثاء الماضي، أنها رصدت 186 صاروخًا باليستيًا و812 طائرة مسيّرة أطلقت باتجاه أراضيها، حيث تمكنت أنظمة الدفاع الجوي من تدمير معظمها، إلا أن بعضها أسفر عن سقوط ضحايا مدنيين وأضرار في البنية التحتية.

وفي السعودية، استهدفت طائرات مسيّرة وصواريخ إيرانية منشآت نفطية ومواقع اقتصادية مهمة في مناطق مثل رأس تنورة، على الرغم من أن الرياض أكدت نجاحها في اعتراض العديد منها. وفي عُمان، استُهدفت موانئ ومدن ساحلية بهجمات بطائرات مسيّرة، أصاب بعضها ناقلات نفط وأسفر عن إصابة عمالها. ووقعت هجمات مماثلة في قطر والبحرين والكويت.

إن سعي طهران لتوسيع نطاق نفوذها العسكري ليشمل هذه الأهداف السياسية والاقتصادية في الخليج يخلق وضعًا جيوسياسيًا

بقلم:
د. عمرو حمزاوي ○

لم يشهده الشرق الأوسط منذ عقود. وستعيد هذه الهجمات المحورية تشكيل العلاقات الأمنية في المنطقة، ومن المرجح أن تُسفر عن تحولات استراتيجية جذرية.

أولًا، لقد تلاشت أي فرصة للتعايش الاستراتيجي مع إيران. لسنوات، سعت بعض دول الخليج العربي إلى احتواء التوترات مع طهران عبر القنوات الدبلوماسية والاقتصادية، فأعادت فتح سفاراتها، بل تعاونت في بعض القضايا، لا سيما بعد التوجه نحو خفض التصعيد في أوائل عامي 2022 و2023. أما الآن، فيُنظر إلى النظام الإيراني على أنه تهديد عسكري مباشر للأمن القومي لجيرانه العرب، وليس فاعلًا إقليميًا يمكن التعاون معه عبر الأطر المؤسسية. هذا التحول يُضعف الثقة في أي حوار مستقبلي، ويُعزز موقفًا أمنيًا متشددًا تجاه طهران.

ثانيًا، تتزايد كلفة الأمن في المنطقة بشكل حاد. فالهجمات الإيرانية ليست مجرد ضربات صاروخية، بل تشكل تهديدًا مباشرًا لسوق الطاقة العالمية، والموانئ، والممرات البحرية الحيوية مثل مضيق هرمز. وأي اضطراب طويل الأمد في البنية التحتية للطاقة أو التجارة نتيجة لهذا التصعيد سيؤدي إلى ارتفاعات غير مسبوقة في أسعار النفط والغاز، واضطرابات في سلاسل التوريد العالمية.

وهذا بدوره سيضع ضغوطًا اقتصادية على دول الخليج نفسها، نظرًا لاعتمادها على صادرات الطاقة لتمويل ميزانياتها، وقد يُجبرها على إعادة توجيه مبالغ كبيرة نحو الدفاع على حساب التنمية والاستقرار الاجتماعي.

ثالثًا: وضعت الحرب الأمن الجماعي في الشرق الأوسط في وضع بالغ الخطورة. يتطلب الأمن الجماعي تعاونًا بين الدول قائمًا على المصالح المشتركة والثقة المتبادلة، إلا أن الهجمات الإيرانية المباشرة على سيادة دول الخليج تُقوّض هذه الثقة. وتركز الدول حاليًا بشكل أساسي على حماية حدودها بدلًا من الاستثمار في الدبلوماسية المتعددة الأطراف أو بناء مشروع أمن جماعي قائم على فهم وتنسيق واسعين. ويُضعف هذا التراجع قدرة المنطقة على مواجهة التهديدات المستقبلية بشكل مشترك، ويزيد من احتمالية العنف والصراع.

رابعا: لا تقتصر الهجمات الإيرانية المتصاعدة على القواعد العسكرية فحسب، بل تمتد لتشمل البنية التحتية المدنية ومنشآت إنتاج الطاقة. ويبدو أن طهران تُنفذ استراتيجية مُصممة لإرهاق جيرانها وخلق ضغوط سياسية واقتصادية (فضلًا عن حالة من الارتباك) لدفعهم في نهاية المطاف إلى ممارسة ضغوط من اجل إنهاء الحرب. إلا أن هذه استراتيجية قصيرة النظر؛ فأفعال إيران لن تؤدي إلا إلى عزلتها الإقليمية.

ما نشهده اليوم في الخليج العربي ليس مجرد تصعيد عابر، بل هو تحول استراتيجي عميق يعيد المنطقة إلى منطق الصراع والتنافس، مع تضاؤل فرص التعايش مع إيران. ومرة أخرى يعود الزمن في الشرق الأوسط إلى الوراء نحو حقبة من التوترات الحادة والمواجهات العسكرية المفتوحة؛ حيث تتضاءل فرص الدبلوماسية المتعددة الأطراف والأمن الجماعي والتعاون الإقليمي.

○ مدير برنامج الشرق الأوسط في مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي

كيف استفادت الصين من التورط الأمريكي في الحروب؟

بقلم: هاني عوكل ○

طيلة فترة الحروب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على أفغانستان ومن بعدها العراق واليوم إيران، لم يتجاوز الموقف الصيني الرسمي لغة القوة، وظل كل تلك الأوقات يراقب السلوك الأمريكي ويستفيد من انشغالاته لتعظيم نفوذ التنين في العالم.

واشنطن بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وإعلان القطبية الأحادية، فأمريكا ركزت وجودها في الشرق الأوسط وفتحت النار على العراق وأشغلت حلفاءها في هذه الحرب، ولم تكن تدرك أن الصين كانت تنهض شيئاً فشيئاً، ولم تكن تدرك أيضاً أن العولمة خدمت بكين في تسريع نقل المعرفة وامتلاكها عبر سياسة التصنيع العابر للقارات.

القفزات الصينية تحققت من بوابة الاقتصاد والتجارة العالمية، ومن ثم مارست السياسة الناعمة حتى تتمكن من حجز مقعد في النظام الدولي، واليوم لا يختلف أحد على أنها مصنع العالم وثاني أكبر اقتصاد بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

اليوم لا يخفى على أحد أن الصين تنافس الولايات المتحدة في سيادة النظام الدولي، وترغب في إزاحة واشنطن عن المرتبة الأولى، وقد يأتي هذا اليوم بالأدوات الاقتصادية أو المجهود الاقتصادي الذي تحقق عبره الصين قفزات تنموية متسارعة.

الحروب التي شنتها واشنطن في أفغانستان والشرق الأوسط، والتوترات التجارية المتصاعدة مع حلفائها قبل أعدائها، والتي كلفت الاقتصاد العالمي خسائر تقدر بتريليونات الدولارات، الأمر الذي أدى إلى انشغال واشنطن عما يدور في بحر الصين الجنوبي.

كذلك بدأت مكانة واشنطن تتآكل شيئاً فشيئاً أمام العالم، والحرب الأخيرة مع إيران فتحت النقاش الداخلي حول جدواها ومنافعها وتأثيراتها المباشرة في الاقتصاد الأمريكي، ناهيك عن بروز مواقف دولية حليفة لواشنطن، تنتقد دورها في هذه الحرب وترفض تقديم المساعدة مثل إسبانيا.

وعلى الرغم من مرور حوالي خمسة عشر عاماً على سياسة «التحول نحو آسيا» التي أعلنتها إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما لتطويق التمدد الصيني، إلا أن واشنطن لا تزال تولي اهتماماً كبيراً للشرق الأوسط وتضعه في صدارة أولوياتها الدولية.

إن فتح النار الأمريكية على إيران لا يتعلق بإضعافها إقليمياً وكسر شوكتها وضمان التفوق الإسرائيلي في المنطقة فحسب، وإنما إضعاف العلاقات الصينية- الإيرانية وتفكيك هذه الشراكة التي تفيد بكين كثيراً جداً، خصوصاً في مساري الحصول على الطاقة من طهران بأسعار تفضيلية، وكذلك تدفق الاستثمارات الصينية إلى الجمهورية الإيرانية.

ذلك أن بكين أكبر مستورد للطاقة من طهران، والحصول عليها يحقق القفزات التنموية الصينية والطموحات التي تبحث عنها، لكن حتى لو تأثرت هذه الإمدادات لن تدخل الصين في معركة ضد الولايات المتحدة، وستكتفي بالتفرج والدعم غير المباشر لإيران.

إن الصين تفضل مراقبة أجواء الحرب من بعيد، لأن ذلك سيضمن لها تعزيز الحضور في بحر الصين الجنوبي، في الوقت الذي تعزز فيه الولايات المتحدة قوتها العسكرية في الشرق الأوسط، وترسل حاملات الطائرات وتنقل أجزاء من أصولها العسكرية إلى هناك.

بالتأكيد الخطاب الرسمي الصيني ينكر أن الحروب الأمريكية المستحدثة أعطته وقتاً للتموين العسكري والاقتصادي، ويظل يكرر مقولة إنه لا رابح في الحروب، والتعاون أفضل من الصراع، لكن لا أحد يجادل في قوة بكين المتنامية واستفادتها الفعلية من الحروب والصراعات الجانبية التي لا تتدخل فيها.

لقد سبق وأن شنت روسيا حرباً على أوكرانيا أواخر فبراير عام 2022، ولم تتدخل الصين في هذه الحرب سوى بالكلمات والمواقف من قبيل رفض العقوبات الغربية على روسيا، والدعوة إلى الوقف الفوري للحرب.

ولا توجد أي مؤشرات تتعلق بدعم عسكري صيني إلى روسيا، اللهم سوى زيادة التجارة البينية وشراء النفط والغاز الروسي، ونفس هذا الموقف يحدث مع إيران عبر سياسة الدعوة إلى وقف الحرب واستمرار التعاون الاقتصادي مع طهران لتحقيق أكبر استفادة ممكنة في ظل هذه الأجواء الدولية المُلبّدة.

لقد كشف مؤتمر ميونيخ الذي عقد منتصف الشهر الماضي، عن تصدع النظام الدولي وأنه يمر بمرحلة «تحت التدمير»، ويواجه ضغوطاً كبيرة من القوى الكبرى، وفي خضمه تضعف المؤسسات الدولية وتزيد حدة التنافس الدولي، في ظل توتر وخلاف داخل المعسكر الغربي.

وفي الوقت الذي تدير فيه واشنطن ظهرها لأهم حلفائها الغربيين، تسعى الصين جاهدةً لتحسين صورتها أمام العالم والبروز في موقف الدولة المحبة للتعاون والسلام، والرافضة للهيمنة والتسيّد الدولي أحادي القطب، لكن في قناعتها الداخلية تدرك أن المواربة خلف هذه السياسة ستحقق لها الكثير من الفوائد.

لن تشعل الصين صراعاً في هذه الأوقات، ولا حتى مع تايوان التي تعتبرها قطعة منها، فهي تستفيد من كل هذا التوتر الدولي والحروب القائمة، في محاولة للصعود إلى القمة، ومتى صعدت حينها فقط سيكون لكل حادث حديث.

○ كاتب من فلسطين

المستقبل الإيراني.. إلى أين؟

لا أحد بإمكانه التنبؤ بمآل نظام الملالي في إيران، لكن من المرجح أن بقاءه بعد الضربات الأمريكية الإسرائيلية لن يطول كثيرا. ليس فقط لأن قدراته العسكرية في مواجهة الهجوم الأمريكي الإسرائيلي تظل محدودة ولكن وهو الأهم لأن غالبية الشعب الإيراني تتمنى رحيله إلى غير رجعة.

فعندما قامت الثورة الإيرانية عام 1979 ضد حكومة الشاه برز فيها الإسلام الشعبي كقوة سياسية بإمكانها التعجيل بإسقاط نظام استبدادي خاضع للولايات المتحدة وإنهاء عصر ساد فيه القمع والتعذيب على يد نظام الشاه.

كانت غالبية الشعب الإيراني تتصور أن قيام جمهورية إسلامية يمكن أن يكون السبيل الأصوب إلى الحرية والعدالة. والواقع أن هذه التنبؤات الوردية في مخيلة الشعب الإيراني لم تقتصر عليه وإنما شاطره فيها عدد من المفكرين العرب من أنصار اليسار الإسلامي. بيد أن جمهورية الملالي عندما وقفت على قدميها بدأ الإيرانيون يشعرون تدريجيا في ظلها بأنهم قد استعاضوا عن الرمضاء بالنار.

إذ تكشفت لهم مثالب النظام الثيوقراطي وأهواله. ولئن كان عدد المؤيدين لحكومة الملالي إبان الثورة الإيرانية يفوق بكثير عدد معارضيها

بقلم:
د. عصام عبدالفتاح ○

فقد تغيرت الأحوال إلى نقيضها الآن. إذ انكمش عدد المؤيدين إلى حوالي عشرين بالمائة وبلغ عدد الساخطين المتمردين عليها حوالي ثمانين بالمائة. ولما شنت الطائرات الأمريكية الإسرائيلية ضرباتها على القيادات العسكرية وقتلت المرشد الروحي علي خامنئي خرجت أعداد كبيرة من الإيرانيين في شوارع العواصم الغربية لتعبر عن فرحتها الغامرة بهذه الضربات التي تحصد رؤوس النظام الإيراني وحراسه. وفي الداخل الإيراني نستمع تعليقات صادرة من أسر إيرانية تعبر عن فرحتها المكتومة.

لقد أسهم في انقلاب الرأي العام الإيراني التدريجي على حكومته الإسلامية عوامل كثيرة أهمها بلا شك معاناة الإيرانيين الطويلة من قمع وفساد حكامهم والأزمة الاقتصادية الطاحنة التي حلت ببلادهم فضلا عن انتشار التعليم في القرى والمدن الإيرانية ودور وسائل الاتصال الاجتماعي في الانفتاح على ثقافة الغير.

بيد أن التحول الجذري العنيف في الرأي العام ضد قياداته يعود في الواقع إلى المجازر البشعة التي ارتكبها النظام ضد شعبه في يناير 2026 إذ تمثل بحق نقطة فاصلة أو كما يرى المحللون انها كانت بمثابة «الضربة القاضية» للجمهورية الإسلامية وطغاتها. فهذه الجمهورية تعيش أزمة وجودية تكشف عجزها عن الحكم. ولا عجب أن وصل الأمر بها إلى حد الانتحار الأيديولوجي بعدما وجدت نفسها مضطرة إلى التفاوض مباشرةً لعقد اتفاق مع «الشيطان الأكبر»: الولايات المتحدة.

إن إيران الحالية لم تعد إيران عام 1979 حين أسهمت أقلية مستنيرة حضرية ومتعلمة ومنفتحة على قيم العالم المعاصر في إسقاط الشاه قبل أن تهمشها أغلبية من السكان كانت مهووسة بالنهج المذهبي المتشدد وكانت تتوهم أنه سيلبي كل تطلعاتها، وبعد مضي أربعة عقود تحولت الأقلية المستنيرة إلى أغلبية كاسحة لأن نسب التحضر ومعدلات محو الأمية تجاوزت بصورة فائقة ما كانت عليه عام 1979، بل واصلت ارتفاعها علاوة على أن الانفتاح على العالم المعاصر لم يعد حكرًا على نخبة، بل أصبح سمةً لغالبية السكان الذين لم يعودوا خاضعين لهيمنة المؤسسة الدينية.

بيد أن السؤال الشاغل الآن يدور حول مآل الأوضاع الحالية في إيران بعد الضربات الأمريكية الإسرائيلية المتواصلة ومقتل المرشد الإيراني ورموز نظامه وقياداته الرفيعة؟

سيأتي مرشد آخر وقيادات أخرى، فمنطق النظام لن يتأثر بغياب رموزه الحاكمة. أما بقاؤه فهذا أمر آخر. وثمة فروض عديدة محتملة.. فهناك احتمال عودة الولايات المتحدة إلى إيران بكل ما تحمله من تداعيات داخلية وإقليمية قد تتم بواسطة السلاح مع اتساع العمليات العسكرية بهدف إسقاط النظام أو عبر النفوذ المالي والاستثمارات.

ومع ذلك، فثمة عقبات كثيرة في مقدمتها النزعة القومية الشديدة لدى الإيرانيين الذين لن يقبلوا بعودة النفوذ الأمريكي إلى بلادهم. يضاف إلى ذلك عداء الفصائل الإسلامية المتشددة التي لن تتوقف عن معارضة اي مسار نحو التطبيع مع الغرب وأمريكا خاصة.

○ أستاذ فلسفة اللغة والأدب الفرنسي بكلية الآداب – جامعة حلوان